

دراسة جديدة عن الزبيدي وكتاب تاج العروس

د. ابتسام مرهون الصفار
جامعة بغداد / كلية التربية

الباب الأول : بحث في حياة السيد محمد مرتضى الزبيدي، وقد اعتمد فيه على ما كتبه الزبيدي نفسه في مؤلفاته واجازاته ورسائله إلى معارفه وتصدر كتاباته مقدمة تاج العروس نفسها ثم الاجازات التي احتفظ بها عبد الحي الكتاني في كتابه (فهرس الفهارس) أما المؤرخون الذين كتبوا عن الزبيدي فأهمهم - كما يقول المؤلف - عبد الرحمن الجبرتي صاحب كتاب عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، فهو خير من قدم لنا ترجمة واسعة لحياة الزبيدي ولا عجب في ذلك ، فالجبرتي أحد تلامذته ، والزبيدي هو الذي أشار عليه بتأليف كتابه هذا .

وترجم للزبيدي عبد الحي الكتاني ترجمة واسعة نقل مادتها من كتب مهمة عديدة ذكرت الزبيدي ، ومن الاجازات التي كتبها الزبيدي نفسه ، وذكر فيها معلومات عن حياته ومصنفاته . ومع أن المؤلف تتبع مترجمي الزبيدي واحدا واحدا حسب أهميتهم فيما يقدمون من معلومات دقيقة عن الرجل منقولة أو منسوخة عن غيرهم فإنه لم يدع كتابا أو بحثا ورد فيه ذكر الزبيدي إلا وأشار إليه ووضعه موضعه من حيث أهميته في قيمة ما يذكرون أو يكتبون عن الزبيدي .

ومع أن د. هاشم شلاش عد الجبرتي من خير من قدم

(الزبيدي في كتابه تاج العروس) كتاب صدر في العراق في عام 1401 / 1981 في دار الكتاب للطباعة ، ومؤلفه هو الدكتور هاشم طه شلاش ، وأصل الكتاب رسالة دكتوراه قدمها المؤلف المذكور إلى جامعة بغداد ، ونال بها درجة دكتوراه بتقدير امتياز في آداب اللغة العربية بتاريخ 19 / 3 / 1978 ، والكتاب مهم جدا لمكانة الزبيدي موضوع البحث ، وأهمية كتابه (التاج) بالذات ، كما أن أهميته تتجلى في الجهد الكبير الذي لأبد أن يبذله الباحث بجرأة لدراسة هذا الكتاب على جلالته قدره ، وضخامة مجلداته .

والاطلاع على هذا البحث القيم يفيد القارئ المختص باللغة العربية عامة ، وبالمعاجم اللغوية بشكل خاص كما أنه يفيد الباحثين في المنهج الذي سار عليه المؤلف ، والذي يظهر صبره ، ودأبه في تتبع كتاب تاج العروس بعد قراءته قراءة دقيقة واعية خرج منها بتحليل لنصوصه ، وتوزيع ، وتصنيف لمصادره وموارده ، وفهم لنصوصه وآرائه أهله أخيرا إلى كتابة مأخذ تتبعها أو نقلها عن العلماء والمحققين على صاحب التاج .

يقع الكتاب في (718 صفحة) وصنف إلى خمسة أبواب كبيرة :

ترجمة واسعة للزبيدي ، فإنه وجد فيما كتبه عبد الحي الكتاني في فهرس الفهارس أصالة في البحث والتتبع . فالكثير من المصادر التي ينقل منها الكتاني لم تقع بأيدينا ، ويظهر أنها مازالت مخطوطة تنتظر أن يزال عنها الغبار لترى النور حتى تقدم لنا المزيد عن حياة الزبيدي . والكتاني فضلا عن استيفائه ودقة بحثه ناقد لا يترك نصا يحتاج إلى مناقشة إلا وقف عنده ، فهو يقف عند قسم من نصوص الجبرقي معقبا عليها ، ومبينا تعصبه على شيخه الزبيدي .

ويناقش المؤلف قضية مسقط رأس الزبيدي لأن المترجمين له يختلفون فيها فقد ذكر قسم منهم مدينة زيد مكانا لذلك معتمدين على ما يذكره الزبيدي عن نفسه عند ذكره اسمه ونسبه ولقبه ، إذ يعقب على ذلك بقوله (وأكثر المترجمين متفقون على أن مسقط رأسه مدينة بلكرام بالهند) مع أن الزبيدي لم يذكر اسم هذه المدينة في كتابه التاج وذكر غيرها من أسماء المواضع والبلدان ... وقد رجح المؤلف كونه هندي المولد لعدة أمور :

1 — ان قسما ممن ترجموا له من الهنود وهم أعرف به من غيرهم كصديق حسن خان مؤلف (أبجد العلوم) .

2 — ان مجلة البيان الهندية تترجم للسيد محمد مرتضى على أنه من علماء الهند ، ومن ولد في مدينة بلكرام مشيرة إلى من نشأ في هذه المدينة من علماء الاسلام .

3 — ان عبد الحي الحسيني يذكر السيد مرتضى بن محمد الحسيني الواسطي البلكرامي في كتابه الثقافة الاسلامية في الهند ، ومؤلف الكتاب هندي .

4 — ما ذكره مير غلام علي آزاد البلكرامي في كتابه مآثر الكرام في تاريخ بلكرام ونقله صاحب (أبجد العلوم) .

5 — وذكر الزبيدي نفسه عدة شيوخ من الهنود منهم نور الدين القبولي الذي قال فيه (وأشهدنا شيخنا نور الدين محمد القبولي المتوفي بحضرة دهلي سنة 1159) وقال في مكان آخر (وقبولة بالفتح حصن منيع بالهند ، وإليه ينسب شيخنا العلامة المحدث الشيخ نور الدين محمد القبولي مات بدهلي سنة 1160هـ) . ويقف المؤلف عند

هذين النصين ويعتبرهما مهمين جداً ، إذ يفهم منها أن السيد محمد مرتضى كان عمره أربعة عشر عاما أو خمسة عشر عاما عندما توفي شيخه القبولي . ولا شك أن ذلك كان بالهند ، إذ ليس هناك أي إشارة إلى انتقال القبولي إلى اليمن أو إلى أي مكان آخر حتى يلتقي به السيد محمد مرتضى ثم أن الزبيدي يشير إلى أقدم تاريخ لوجوده في اليمن وهو سنة 1162هـ الذي هو تاريخ سماعه الدروس الفقهية والحديثية على شيخه سليمان بن يحيى ابن عمر الاهدل في مسجد الشماخ في اليمن ، وهذا يقوي ما نذهب إليه من أن الفترة التي عاش فيها قبل هذا التاريخ كان في الهند .

وإذا كان تحليل الدكتور هاشم شلاش لهذين النصين مهما جدا في تأكيد نسبة أصل الزبيدي إلى الهند ، فإنه قد فاته — فيما أظن — الاستفادة من هذين النصين بالذات فيما يتعلق باحتمال معرفة الزبيدي اللغة الهندية إذا كان قد عاش فعلا في الهند خمسة عشر عاما ، وهل نجد تحقيقا لهذا الاحتمال في تحقيقات الزبيدي اللغوية ؟ خاصة أن المؤلف بحث مسألة معرفة الزبيدي للغة الفارسية والتركية وبعض لسان الكرج ، ولم يذكر الهندية وهي أولى به من اللغات الثلاث المذكورة . ولعل المؤلف لم يلتفت إلى هذه الملاحظة لأنه اعتمد في تتبعه لمعرفة الزبيدي للغات الأجنبية تاج العروس نفسه حيث جمع ما يمكن جمعه من شواهد تدل على معرفته الفارسية أو التركية من خلال شروحه للمواد اللغوية فلما لم يجد إشارة يرجع فيها الزبيدي أصل كلمة إلى الهندية لم يلتفت إلى هذه القضية ، علما بأن الزبيدي ذكر شيخه ولي الله الدهلوي وقال فيه (وحضرت منزله في دهلي) وهذا دليل آخر يقتضي معرفته الهندية .

وتحدث المؤلف بعد هذا عن نشأة الزبيدي ورحلاته وتبع المدن التي ذكرها في اجازاته ومؤلفاته وعد فيها الهندية والجمانية والحجازية والمصرية والشامية .

ثم عدد جوانب دراسته الحديث واللغة والتصوف والفقه والانساب .

ثم بحث في شيوخه الهنود والجمانيين والحضرميين

والبحرانيين والعراقيين والحجازيين والمغاربية والمصريين والشاميين وغيرهم . ثم تتبع تدريساته وحاول استقصاء اسماء ما درسه من كتب ومعارف من خلال ما كتب عنه كما تناول شهرته العلمية وتلامذته ومذهبه وعقيدته وطريقته الصوفية ثم عاد إلى ذكر أسرته والبحث في صفاته العامة وأدبه وأسلوبه .

أما الفصل الثاني من الباب الأول فقد خصّه للحديث عن مصنفاته وقسمها حسب الفنون مثل كتب الحديث ، كتب اللغة ، كتب التصوف ، كتب الفقه والأصول ، كتب العقائد ، كتب التفسير ، وكتب رجال السند والشيخات وكتب التراجم والطبقات ، كتب الانساب ، كتب الخط ، الجغرافية ، الأدب وكتب أخرى في موضوعات مختلفة وهو في كل هذه القوائم التي أعدها وتبع ذكر أسمائها وبحث عن مظانها في خزانات العالم إن كانت مخطوطة وبذا ييسر المؤلف الطريق لمن يريد استكمال الجوانب الأخرى من ثقافة الزبيدي أو مؤلفاته .

أما الباب الثاني فقد خصّه للبحث في تاج العروس نفسه أو خصص الفصل الأول منه لدراسة القاموس المحيط والفصل الثاني لدراسة تاج العروس وأهداف تأليفه ثم تحدث عن نسخته الخطية ، وعن طبعاته وقد اعتمد المؤلف في بحثه على طبعتي الكويت في أجزاءها الستة عشر ، وأتم العمل بما بقي منه من أجزاء المطبعة الخيرية ثم تحدث عن توثيق التاج ، وعن نظر المؤلفين فيه .

أما الباب الثالث فهو عن مصادر التاج والفصل الأول منه عن السماع والرواية والرؤية والمشاهدة والمعرفة والخبرات الشخصية والفصل الثاني عن النقل من الكتب .

وخلاصة رأي المؤلف في هذا الباب أنه لم يجتمع في معجم من معجمات اللغة ما اجتمع في التاج من المصادر الكثيرة فقد نقل المؤلف مواد معجمات اللغة التي سبقته وكتب اللغة الأخرى اما بطريق النقل المباشر واما بالواسطة وأضاف مادة جديدة من المصادر التي اطلع عليها وأكثر مواد هذه المصادر لا تتعلق باللغة لأن السابقين استوفوا

موادها وانما تتصل بمظاهر الحياة المتطورة التي تتجدد كلما سارت عجلة الزمن فالمادة الجديدة التي يقدمها التاج تتعلق بالتاريخ والانساب والطب والمغرب والدخيل والمولد والعامي وغيرها ومع ذلك اطلع الزبيدي على عدة مئات من الكتب التي لو جمعت مع كتب غيره مما يمثل موارد التاج لكانت بضعة آلاف كما يقول المؤلف .

وقد نقل المؤلف رأياً طريفاً للدكتور علي حلمي موسى اعتمد فيه الأخير على الطرق العلمية في البحث العلمي وهو جهاز الكمبيوتر حيث قام بدراسة احصائية لجذور معجم تاج العروس (بالاشتراك مع د. عبد الصبور شاهين) وطبع في مطبوعات (جامعة الكويت) ونتيجة احصاء الكمبيوتر هي أن (مادة التاج في مواكبها للإنتاج اللغوي تغطي في الواقع اثني عشر قرناً من عمر اللغة بعد قرون الجاهلية أي بما يزيد خمسة قرون على ما في معجم لسان العرب) .

أما في الفصل الثاني وهو النقل في الكتب فقد بحث فيه د. هاشم شلاش نقول الزبيدي وأورد ملاحظات مهمة منها تعدد نسخ الكتب التي اعتمد عليها الزبيدي ، واهتمامه بخطوط الكتب لتوثيق ما ينقل عنها وتقوم الكتب وتقوم المؤلفين ثم تتبع طرق الزبيدي في ذكره الكتب كأن يذكر اسم الكتاب والمؤلف كاملاً أو يكتفي بالأول والثاني فقط ثم طريقة ذكره لاسماء الكتب كاختصاره لبعض الأسماء أو ذكرها بأكثر من تسمية على سبيل الاختصار أو الوهم أحياناً ، ثم صنف المؤلف أساليب نقل الزبيدي عن المصادر والكتب ورأى أن طرقه كانت متعددة إذ قد ينقل النص كاملاً أو ينقله بتغيير بعض ألفاظه أو يختصر ما ينقله اختصاراً كبيراً وأهم فقرة في هذا الفصل هي فقرة قائمة المصادر إذ فيها تظهر قيمة التاج وأهميته في كثرة المصادر التي ينقل عنها الزبيدي وتنوعها حتى أنها شملت جميع أنواع المعارف في زمانه مما يؤكد كون كتاب التاج موسوعة فكرية أكثر من كونه معجماً لغوياً متخصصاً وقد تتبع د. شلاش بدقة نقول الزبيدي ليعرف ما إذ كانت هذه النقول مباشرة عن الكتب التي يذكرها أو أنه نقلها عن مصادر أخرى . وقد رتب المؤلف شلاش قائمة مهمة صنف فيها اسماء الكتب التي رجع إليها الزبيدي حسب

فتونها فالفقرة الأولى المعجمات العامة مثل احكام الأساس للمنادى المتوفى سنة 1031 هـ وأساس البلاغة للزحشري المتوفى سنة 538 هـ وإضاءة الراموس لأبي العباس أحمد بن عبد العزيز الفيلاي المتوفى سنة 1175 هـ وكتاب إضاءة الراموس وإضاءة التاموس على إضاءة القاموس لأبي عبد الله محمد بن الطيب القاسي المتوفى سنة 1170 هـ وفيما يخص الكتاب الأخير فإن الزبيدي ذكره وخصه بالثناء قائلاً (وهو أجمع ما كتب عليه يعني القاموس المحيط وهو عمدي في هذا الفن والمقلد جيدي العاطل بجلي تقريره المستحسن وشرحه هذا عندي في مجلدين ضخمين) وتعقبنا على قول الزبيدي نقول بأنه يفتح باباً جديداً للبحث فإذا كان الزبيدي قد نقل معظم مادة الراموس في كتابه واعتمد عليه اعتماداً تاماً فإن المقارنة بين التاج والراموس الذي تحتفظ دار الكتب المصرية بثلاث نسخ منه قد توصلنا إلى بيان أهمية الزبيدي في مقدار ما أضافه على شروح استاذة محمد بن الطيب القاسي على القاموس المحيط وبعد المعجمات العامة أورد قائمة المعجمات الخاصة وأدرج ضمنها كتب الغريب ثم كتب الاسماء والصفات وأدرج ضمنها كتاب الغريب المصنف لأبي عبد القاسم بن سلام المتوفى سنة 224 هـ وأظن أن حقه أن يدرج ضمن القائمة الأولى وهي كتب الغريب.

ثم ذكر كتب المثلثات والأضداد والنوادر والفروق والضاد والظاء والمشارك اللغوي ثم كتب العرب والدخيل.... وهذه كلها ذكرها ضمن قائمة المعجمات ، وتلاها بقائمة أخرى باسم كتب النحو ثم قائمة بكتب الصرف وأخرى بكتب الدراسات اللغوية ، ثم كتب لغوية أخرى وقد أدرج ضمن هذه المجموعة كتاب النصوص لأبي العلاء صاعد بن الحسن البغدادي المتوفى سنة 417 هـ ونرى أن مكانه ليس قائمة الكتب اللغوية بل الكتب الأدبية لأنه ليس من كتب اللغة بل كتب الأدب وقد اطلعت على نسخة الكتاب الخطية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط ورأيت أنه أقرب إلى عيون الأخبار والعقد الفريد منه إلى كتب اللغة التي وضع د. هاشم شلاش كتاب الفصوص ضمنها .

والفقرة الثالثة من قائمة المصادر هي الكتب الأدبية ،

وقد قسمها إلى مجاميع أيضاً ، مجموعة الدواوين ، والمجاميع الشعرية ، ثم شروح كتب الأدب ثم قائمة بكتب البلاغة والنقد الأدبي ثم فقرة أخرى بعنوان كتب الدراسات القرآنية وقسمها إلى مجموعات أيضاً ، علوم القرآن ، القراءات ، التفسير ، ثم كتب الحديث النبوي وتشمل المتن والأسانيد ، والأجزاء الحديثة ، والمسلسلات ، والأربعينات ، والعشاريات ثم شروح كتب الحديث وكتب الفتاوى الحديثة وكتب آداب المحدثين ، وكتب مصطلح الحديث ، وعلل الحديث ، ثم كتب الفقه ، وأصول الفقه ، وكتب الطب ، وكتب الجغرافية ، والبلدان ، والانواء ، والرحلات ، وقد أدرج في القائمة كتابين كان الأولى بهما قائمة الكتب التاريخية لأنها ليسا في الجغرافية أو الرحلات إنما هما أقرب إلى التاريخ مثل كتاب قوانين الدواوين للأسد بن ممانى الدمشقي المتوفى سنة 606 هـ ، ولم يشر المؤلف كعادته إلى طبعة الكتاب ، وإنما أشار إلى كتاب هدية العارفين 1 / 205 ونقل عنه بأن الكتاب يتعلق بدواوين مصر ورسومها ... والكتاب مطبوع في مصر ومادته ليست في الجغرافية كما قلنا إنما هو في رسوم الوزارة وأصولها وما يتبع ذلك من حديث تاريخي ... والكتاب الثاني الذي أدرجه في هذه القائمة مرتبط بالأول لأنه مختصر له ، وهو كتاب مختصر قوانين الدواوين لشرف الدين يحيى بن المعتز بن الجيعان المتوفى سنة 885 هـ ثم ذكر كتب العقائد وعلم الكلام ، وكتب التاريخ وقسمها إلى مجاميع كتب التاريخ العام ، وقد أدرج فيها كتاباً في الجغرافية وهو الروض المعطار في خبر الأقطار لمحمد بن محمد بن عبد الله الحميدي المتوفى سنة 900 هـ وقد أشار في هذا الكتاب إلى كشف الظنون 1 / 920 ونقل عنه أنه في أخبار الأقطار ، ولم يشر إلى كونه مطبوعاً والكتاب مطبوع باسم (الروض المعطار في خبر الأقطار) بتحقيق احسان عباس وطبع في مكتبة لبنان 1975 وحقه كما هو واضح أن يدرج ضمن كتب الجغرافية مثل معجم ما استعجم ، أو معجم البلدان لياقوت الحمدي .

ثم ذكر قوائم بكتب السيرة النبوية وكتب التراجم الخاصة وقسمها إلى كتب الصحابة ، وكتب رجال

الحديث ، وأحوالهم وأسمائهم ، ثم كتب رجال الفقه وكتب الشعراء وكتب الحفاظ وكتب المفسرين ، وكتب الأدباء ، وكتب الموالي ، ثم كتب التراجم العامة ، وأدرج ضمنها كتاب التلقيح لابن الجوزي المتوفى سنة 597 هـ ، وذكر أن قسماً منه مطبوع طبعة بروكلمان في لندن سنة 1982 بعنوان تلقيح فهم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار وأهل الآثار كما هو معلوم هم أهل الحديث فالكتاب إذن جقه أن يدرج ضمن القائمة التي مرت بنا من قبل ، وهي قائمة تراجم رجال الحديث ، وليس ضمن التراجم العامة .

ثم ذكر معاجم الشيوخ ، وأدرج ضمن هذه الكتب كتاب معجم السفر للسلفي المتوفى سنة 576 هـ ، ولم يشر أيضاً إلى كون الكتاب مطبوعاً ، وهو مطبوع في المجمع العلمي العراقي بتحقيق الدكتور بهجة الحسي .

ثم ذكر قائمة باسم كتب في فنون أخرى مثل كتاب الاحبار للتيفاشي وكتاب الاحياء للغزالي ثم قائمة سماها كتب لم تقف على طبيعة موضوعاتها .

وقد أدرج فيها أسماء الكتب التي لا توحى عناوينها بمضامينها خاصة وأنها من الكتب غير المشهورة أو المتداولة بحيث يعسر على الباحث أن يصنفها ضمن قوائم التي أعدها وقد بدأها بكتاب استحلاب ارتقاء الغرف للحساوي ثم كتاب الأوليات لابن عساكر ثم أسماء كتب لم يذكر مؤلفوها مثل بهجة الأسرار والبيجة ولعلها كتاب واحد وكتاب التحير لأبي سعد واكتفى المؤلف بعبارة (نقل منه في التاج) وعلق في الهامش بعبارة نقل منه ما يتعلق ببعض رجال الحديث وهذا وهم لأنه المرجح أن الكتاب المذكور هو كتاب التحير وليس التحير وهو كتاب مطبوع وأبو سعد الذي أشار إليه هو أبو سعد السمعاني المتوفى سنة 562 هـ وكتابه نشر بتحقيق منيرة ناجي سالم وطبع في العراق في مطبعة الارشاد سنة 1975 م .

ثم أعقب هذه القائمة بقائمة المصادر التي استقى منها الزبيدي بعض معلوماته ولم يذكر أسماءها بل صرح بأسماء مؤلفيها ابن أبي الدنيا ، وابن أبي مريم وابن خراذبة ... إلى آخره

هذه القوائم أخذت من المؤلف جهداً كبيراً في استقصائها من خلال كتاب تاج العروس الضخم واستغرق تنظيمها في الكتاب من صفحة 277 - 388 .

ثم درس المؤلف منهج التاج دراسة تفصيلية حيث قسم الكتاب إلى موضوعات هي شرح خطبة المصنف نظام الكتاب وأبوابه ، ومواده ، شرح مادة القاموس المستدرک ، المكملات ، الخاتمة .

أما الفصل الثاني من هذا الباب فقد خصه د. شلاش للحديث عن الظواهر المنهجية في التاج ويبحث فيه قضية الاستشهاد والشواهد وعرض موقف المتشددین من اللغويين وموقف التسامحين في التثقل بالشعر الاسلامي والمحدث ورأى المؤلف أن الزبيدي لم يكتف بالتثقل بشعر الجاهليين والاسلاميين إذ أنه استشهد بشعراء عباسيين كإبن المعتز وإبن نباتة السعدي وإبن الرومي والعماد الاصفهاني إلا أنه لاحظ بأن الشواهد العباسية لم ترد كلها للاستشهاد وإنما أورد الزبيدي قسماً منها لبيان ما وقع أصحابها فيها من أوهام وهذه ملاحظة مهمة جداً لأن المتصفح لكتاب التاج إذا عرض أمامه شاهد لشاعر عباسي خيل إليه أن الزبيدي ممن تسامح وتمثل بأشعار المولدين ولكن استقصاء المؤلف للشواهد العباسية التي تمثل بها الزبيدي أوصله إلى هذه الملاحظة المهمة وهي أنه لم يأت بها للتثقل لصحة المادة اللغوية التي يشرحها وإنما لبيان خطأ وقع فيه الشعراء العباسيون أو أنه تمثل بها للاستشهاد على أسماء المدن والمواضع والأعلام وليس في هذا الاستشهاد بأس من الناحية اللغوية .

أما الشعراء المتأخرون والشعراء المعاصرون فقد ذكر منهم أحمد بن موسى الذي وصفه بأنه من الشعراء المتأخرين والسيوطي والشهاب الخفاجي وأبا الحجاج الطرطوشي وما ذكره الزبيدي من شعر هؤلاء تغلب عليه الصنعة التعليمية .

وفيما يتعلق بالشواهد التي نقلها الزبيدي بحث المؤلف شلاش إشارة الزبيدي إلى اختلاف الروايات وإلى تكملة الشواهد أو الإشارة إلى مكانه وجود الشاهد في المكان المختلفة ثم ذكره لمناسبة الشاهد أو شرحه ثم بحث في

الفقرة الثانية الشواهد النثرية ويأتي في مقدمتها القرآن الكريم ثم الحديث النبوي حيث لاحظ المؤلف أن الزبيدي استشهد كثيرا بالحديث النبوي ولعل اهتمامه بالحديث نابع من كونه كلام أفصح الخلق من جهة وكون العلماء اهتموا بتحقيق نصوصه اهتماما لم يحظ به علم آخر من جهة أخرى ثم ذكر أقوال الفصحاء والشاهد المثلي ويريد به شواهد الأمثال ثم الشواهد المصنوعة التي وضعها اللغويون ليمثلوا لتراكيبيهم ومفرداتهم ومعانيهم .

ثم بحث موضوع النقد وأراد به ما بحثه الزبيدي بشأن النقد الموجه إلى صاحب القاموس ، وما نقده هو أي الزبيدي على صاحب القاموس كخروجه على قاعدته في الاختصار أو خروجه على قاعدته في إيراد صيغة المذكر واتباعها المؤنث . ومن النقد الذي وجهه الزبيدي إلى صاحب القاموس سوء تعبيره أحيانا أو سوء ضبطه أو وضعه الألفاظ في غير مواضعها أو تقصيره في اغفال كثير من المواد اللغوية كل هذه الفقرات عالجها المؤلف بتتبع الأمثلة والشواهد التي جمعها من خلال قراءاته لكتاب تاج العروس . كما أن المؤلف لم ينس أن يكتب مادة في هذا الفصل يخص فيها انصاف الفيروزآبادي ودفاع الزبيدي عنه في كثير من المواضع التي ذكر بأنه انتقد عليها أو عدت عيبا عليه .

كما أنه خص فقرة من بحثه للحديث عن النقد الذي وجهه الزبيدي لشيخه أبي الطيب إذ لم يكتف الزبيدي بالنقل عن شيخه بل جعل نفسه مدافعا عن صاحب القاموس إزاء النقد القاسي الذي وجهه إليه شيخه أبو الطيب . وقد مر بنا أن الزبيدي قد صرح بنقله مادة كتاب شيخه كاملة في ثنايا كتابه ومع ذلك لم يتحرج من نقده والرد عليه في المواضيع التي ظن أنه قسى فيها على الفيروزآبادي .

أما الباب الخامس والأخير فقد جعل مادته في فصلين الفصل الأول قيمة التاج وأثره في الدراسات اللغوية ، والفصل الثاني ما يؤخذ على التاج ، وهذا الفصل مهم جدا وقد ظهرت فيه شخصية المؤلف د. شلاش في تتبع المآخذ التي أخذت على التاج وصاحبه كالمآخذ المنهجية ،

وبعض هذه المآخذ تشبه مآخذ الزبيدي على صاحب القاموس كوضعه الألفاظ في غير مواضعها والتقصير في عزو الأقوال إلى أصحابها والمبالغة في الاختصار ثم المآخذ العلمية وفي هذه المآخذ تظهر شخصية الباحث أيضا وجهوده في تتبع القضايا اللغوية وما بدا له من أوهام الزبيدي وقد اعتمد في بيانها على بحوث قيمة خصت التاج بالدراسة ونهت إلى بعض الجوانب اللغوية أو المآخذ والأوهام التي وقع فيها مثل ما كتبه الأستاذ حمد الجاسر في مجلة العرب السنة الخامسة 1971 الجزء الخامس وما كتبه محققو التاج في طبعة الكويت وتنبيهات المرحوم الدكتور مصطفى جواد على مواضع من أوهام الزبيدي .

كما بين المؤلف المواضع التي غلط فيها الزبيدي في إيراد أسماء الكتب أو الأخطاء الصرفية واللغوية أو الأخطاء التاريخية والجغرافية .

وبعد أن ذكر هذه الأخطاء والمآخذ لم ينس المؤلف أن يقف من الزبيدي موقفا إيجابيا فيعرض دفاعا عن الزبيدي خاصة بشأن ما كتبه أحمد فارس الشدياق في بحثه الجاسوس على القاموس حيث بين د. هاشم شلاش تلك المآخذ وما فيها من تعسف أحيانا إذ ليس كل ما يقال يكتب ويؤخذ على علته ، والحق أحق أن يتبع كما يقول المؤلف .

هذه هي أهم الموضوعات التي عالجها الدكتور هاشم شلاش في كتابه ، وهي موضوعات مهمة تستهوي كل من علفت نفسه بدراسة اللغة العربية وتتبع جهود العلماء في تسجيل مفرداتها كما أنها تبين جهود عليم من أعلام العربية وهو الزبيدي الذي ترك لنا كتابه تاج العروس معلمة شاحخة بين المعاجم العربية ويكفي أن نختم عرضنا لهذا الكتاب برأي الدكتور حسين نصار وهو الأستاذ المعروف الذي يعتبر أول من كتب في تاريخ المعاجم العربية حيث قال (والأمر الجلي أن أي باحث قرأ تاج العروس على الرغم من ضخامته قراءة شاملة وواعية مكتته من تحليله غاية في الدقة والتفصيل ومن تصويره تصورا غاية في الاحاطة ، ويسرت له التقاط المعلومات ذات الفائدة الكبيرة عن الرجل وكتابه ...) .